# مقدمة

رؤية امرأة مسلمة في شوارع مدينة غربية، مغطّاة من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، نادراً ما يفشل في إثارة رد فعل قوي. لا تعد مشاعر الصدمة، الرعب، الاشمئزاز أو الشفقة غير مألوفة؛ خاصةً لدى رؤية هذا المنظر الغريب للمرة الأولى. تتراوح التعليقات من التعاطف: («امرأة مسكينة، ألا تعرف أنها في إنكلترا الآن، وأنه ليس عليها ارتداء مثل تلك الملابس؟») والإهانة: («تجعلني رؤيتهن يرتدين مثل تلك الملابس أشعر بالاشمئزاز!») إلى السخيفة: («أرى أنها تبدو مثل كلب تحت تلك الملابس!»).

دون شك، هناك افتراض بأن تلك المرأة المسكينة قد تم إرغامها من قبل زوجها أو عائلتها على ارتداء تلك الملابس، وأنها مهاجرة غير مثقفة تتكلم الإنكليزية بالكاد أو لا تتكلمها على الإطلاق، غارقة في الجهل وأن عليها اختبار مباهج الحريات الغربية. إنها، في الحقيقة، بحاجة ماسّة للحصول على حريتها.

ذاك هو التصور الشائع عن تلك المرأة، التي تبقى دون وجه، أو اسم أو صوت شخصاً نكرة!

لكن ماذا إن كان لهذه المرأة اسم، ماذا إن كان لها صوت؟ ماذا إن كانت تستطيع إخبارك عن نفسها، وتاريخها، وعائلتها، وأفكارها ومشاعرها؟ ماذا إن استطعت، بمشاطرتها لمشاعرها معك، رؤية ما وراء الرداء الخارجي، وراء الخمار، وأن تشاهدي بنفسك أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينكما؟

بحلول سنة 1977، كان والداي قد غادرا جنوب إفريقية حيث التمييز العنصري واستقرا في ليدز، حيث ولدت. سافرنا بعدها إلى أثيوبيا ثم إلى زيمبابوي، حيث قضيت الاثنتي عشرة سنة اللاحقة، والتحقت بالمدرستين الابتدائية والثانوية هناك، وعشت حياة مراهقة، جنوب إفريقية عادية من الطبقة الوسطى. لعبت وأقمت حفلات مع أندادي، وعشنا وفقاً للعوامل التي أثّرت بنا ثقافياً، أعني؛ الموسيقى، والفيديو والأفلام الأمريكية. في السابعة عشرة، تخليت عمّا كنت أعده «ذهنية البلدة الصغيرة» في هراري وجئت إلى لندن للدراسة. عندما كنت في الجامعة، تعرفت على طرق جديدة في التفكير والحياة ـ أصبحت أكثر اهتماماً بقضايا العالم، ومثل العديد من طلاب الدراسات الاجتماعية، أصبحت أكثر تشدّداً واهتماماً بالسياسة، وتحولت إلى اعتناق كفاح القومية السوداء. على أي حال، تعرّفت على الإسلام أول مرة خلال رحلة إلى مصر وقد صدمني الحجاب، وطريقة ستر النساء المسلمات لأنفسهن. كانت تلك الرحلة نقطة تحول في حياتي، ودفعتني للتساؤل عن طريقة حياتي، ومعتقداتي وهدفي في الحياة. بعد إمعان التفكير واجتياز العديد من الأميال الجوية، قطعت أولى خطواتي المترددة على درب الإسلام.

منذ اعتناق الإسلام، كنت محظوظة بلقاء العديد من النساء الرائعات اللواتي اعتنقن، مثلي، الإسلام: نساء صادقات، نساء حريصات، نساء قويات. عبر صداقاتنا المزدهرة، استطعت التعرف على جوانب عديدة من شخصياتهن. كن قد كلّمنني عن الإيمان، والصبر، عن أنفسهن وعني. لكن، حتى ذلك الوقت، كان الآخرون يحددون لنا ما نحن عليه، وبكلمات ليست خاصة بنا.

لوقت طويل، كانت فكرة الكتابة عن تجاربي وتجارب أخواتي تجول في خاطري. اعتقدت أنه من المهم سرد قصتنا، لأولئك الذين يعرفوننا والذين لا يعرفوننا، وللغرباء الذين يشاهدوننا ويسيئون فهمنا.

أدعوكم الآن لمرافقتي إلى قلبي وقلوب «أخواتي في الإسلام»، لاكتشاف من نحن حقاً ليس ما تقوله الأفكار الجاهزة سلفاً، أو ما تقوله وسائل الإعلام بل ما نقوله نحن. لقد تكلمنا بصراحة حول الكثير من مناحي حياتنا، ونثق بأنكم سوف تصغون دون تحيّز.

آمل أيضاً أنكم، فيما تقرؤون، ستشكّلون أفكاركم الخاصة وتتحدّون تصوراتكم المسبقة عن الإسلام. بتقديم الإيمان الإسلامي ظاهراً في حياة النساء في هذا الكتاب، آمل أن أقدّم جانباً شخصياً وخاصاً من الإسلام، جانباً لا يراه سوى أولئك المقرّبين بما يكفي للسماح لهم بدخول حلقته الضيقة.

هذا الكتاب احتفالية. إنه احتفالية بالمرأة. إنه احتفالية بالأخوّة. إنه احتفالية بالشجاعة، الدفء والصداقة. إنه احتفالية بالضحك، الصبر والمحبة. إنه احتفالية بالإسلام.

**نعيمة ب. روبرت**

**كانون الأول 2004**